ملامح الاغتراب وانهزاميّة الذّات في رو اية " ريح يوسف" لعلاوة كوسة

Features of Alienation and Self-defeatism in AllawaKoussa's Novel "Youcef's Wind"

ط.د وحيدة فرجاني.[1،*] د- عبد الرشيد هميسي[2]

1جامعة الوادي، (الجزائر)، _ouahida@univ_eloued.dz

2جامعة الوادي، (الجزائر)، Rachid_man@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2022/03/01 **تاريخ المراجعة**:2022/05/07 **تاريخ النشر**: 2022/09/30

ملخص:

تروم هذه الدّراسة إلى الكشف عن ظاهرة اجتاحت المتخيّل السّردي الجزائري جرّاء الأزمة السياسية وما أعقبها من فراغ وصراع وهجنة ثقافيّة، والمتجسدة في الاغتراب الذّاتي عند علاوة كوسة في روايته " ريح يوسف " التي تطرح إشكالية البحث عن هويّة الأنا الهاربة من قهر الواقع الرّاهن، متخذين المنهج الوصفي التحليلي مطيّة لتشريح بنية المتن الحكائي، وعرض ماهية الاغتراب والذات وتمظهراتهما، لنخلص إلى أن المناخ الاستلابي المهيمن نابع من شحنات عاطفية ووجودية، نقلها الأديب لشخصياته الورقية، خاصة الشخصية المركزية باعتبار أنها نواة لهذا الارتهان الذي انبلجت عنه أنماط أخرى منها: الاجتماعي والمكاني واللغوي ... لترفع راية التّحدي أخيرا لسدّ الهوة بين الأنا والآخر وتحقيق ولادة جديدة لها ..

الكلمات المفتاحية: الاغتراب؛ الذات؛ علاوة كوسه؛ الانهزام.

Abstract:

The aim of this study is show a phenomenon that invaded the Algerian narrative imagination because of the political crisis and the conflict and cultural hybridity that followed, which is embodied in the self-alienation of Allawa Koussain his novel "Youcef's Wind", which raises the problem of searching for the identity of the ego escaping from current reality's subjugation, taking the analytical descriptiveapproachas a ride to dissect the structure of the narrative text, and presenting the nature of alienation and the self and their manifestations, to conclude that the negative and insulting climate stems from emotional and existential charges, which the writer conveyed to his paper characters, especially the main character, considering that they are the nucleus of this dependence that has emerged from other patterns, including: social, spatial and linguistic...to finally raise the banner of the challenge to bridge the gap between the ego and the other and to achieve a new birth for it.

Keywords:*Alienation; self; Allawa Koussa; defeat.*

* المؤلف المراسل .

توطئة:

الاغتراب ظاهرة إنسانيّة ضالعة في القدم، ألقت بظلالها على حياة الفرد محدثة شرخا فكريا ونفسيا ووجوديا وحتى عضويا، ليغترب بذلك – الفرد-عن عالمه الأصلي إلى عالم مزيف يصنع فيه ذاته الغائبة.

ومما لا ريب فيه أنّ قضيّة الاغتراب من سمات الحياة المعاصرة التي يقف أمامها الانسان عاجزا حائرا، لأنها فرضت وجودها في مجالاته الحياتية والمعرفية المتباينة بتباين وجهات نظر أصحابها؛ كالفلسفة والدين وعلم الاجتماع وعلم النفس والسياسة والاقتصاد وكذا الأدب والفنون وغيرها، ولعلّ هذا التّنوع في مراتع هذا المصطلح، وتلّون بيئاته ألبسه ثوبا زئبقيا يتّسم بالغموض والضّبابية والتّداخل في معانيه ودلالاته.

من هنا يمكن القول بأنّ الأدب عمل إنساني تفاعلي، والرّواية على وجه الخصوص مرآة عاكسة لحياة الكاتب وقطعة نابضة منه، لذا نلفي الاغتراب ظاهرة فنيّة اقتحمت الرّواية العربيّة المعاصرة، وتحديدا الجزائرية منها، حيث استشكلتها وتشربتها على مستوى بنيتها ودلالتها، ومن هذه المتون السّردية "ريح يوسف" لعلاوة كوسه" التي تعدّ أنموذجا للرّفض والتّغريب، لذا ارتأينا أن تكون محلّ الدّراسة لاكتشاف ذوات الشّخصيات المتصارعة والمصابة بهذا الدّاء- الاغتراب- متخذة من الظّروف حجة لتغلغله واستيطانه في ظل هذا التأزم الهوي، ولكن قبل تفحص تجلّياته الجماليّة في هذه الرواية لابد وأن نستهل دراستنا هذه بتمهيد نظري حول إشكالية ضبط المصطلحات التي أصبحت ضرورة منهجية في مضمار البحث العلمي.

فماذا نقصد بالاغتراب والذات؟

أولا ــ قراءة في المفاهيم وتحديد المصطلح:

كما أسلفنا يلزم لتحديد أي مصطلح، الوقوف عند محطتين اثنتين أولاهما تعنى بالجانب المعجمي، وثانيهما تهتم بالجانب المفاهيمي، لإزالة الحجب عن القراء.

1ـ ماهيّة الاغترابAliénation:

يثير مفهوم الاغتراب الكثير من الجدل والنقاش، بسبب تعدد استخداماته التي تؤدي إلى اختلاف الأطر المنهجيّة والنّظرية المتبعة في تحليله ودرْسه، ولكي نجعل الأمور أكثر انضباطا شرعنا في إيراد المعنى اللغوي والاصطلاحي له.

أ ـ لغة:

الاغتراب في اللغة العربية افْتِعالٌ مِنَ الغُرْبَةِ ومَصْدَرٌ مُشْتَقٌ مِن الفِعْلِ (اغْتَرَبَ) وينحدر من الجذر (غَرَبَ)، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور في " الغَرْب: الذّهاب والّتنحي عن الناس... والغَرْبَةُ والغَرْبُ: النّوى والبُعْدُ... والتَغْريبِ: النّفي عن البلد وغَرَبَ أي بَعُدَ، والتّغَرْبُ: البُعْدُ، والغُرْبُ: النُّزُوحُ عَنِ الوطن والاغتراب، واغِتَرَبَ الرَّجل: نَكَحَ في الغَرائِبِ وتَزوج إلى غير أقاربه...والمُغْرِبُ: المبعد في البلاد "[1]

أما في اللغات الأجنبية فكلمة اغتراب هي مقابلة للفظة الإنجليزية Alienation، والكلمة الفرنسية Aliénation، وفي الألمانية Entfremdung، وقد اشتقت كل من الكلمة الإنجليزية ونظيرتها الفرنسية من الفعل اللاتيني Alienare الذّي يعني نقل ملكيّة شيء إلى آخر، أو يعني الانتزاع أو الإزالة، وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي Alienus أي الانتماء إلى شخص آخر أو التّعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ Alius، الذي يدل على الآخر سواء كاسم، أو كصفة.[2]

من خلال هذه التّعريفات اللغوية العربيّة منها والغربيّة نستشف أن الاغتراب حمل في ثناياه معان عدّة منها: النّزوح والابتعاد عن الوطن، والنّفي والتّشرد والتّنحي والانفصال عن النّاس، والنّقل والانتزاع والإزالة... وكلها معان تحيل إلى الارتهان المادي والرّوحي.

ب ـ اصطلاحا:

قبل الخوض في محاولة ضبط المفهوم الاصطلاحي للاغتراب، نشير إلى أنه شديد العمق وعريق الأصل، يتواجد على نطاق شاسع، وهو ما عسر في الوصول إلى تحديد تعريفجامع ودقيق له، خاصة وأنه يرتبط بأعقد شيء أرهق الوجود الطبيعي ألا وهو الإنسان الذي فقد روح التّناغم والانسجام مع ذاته ومحيطه، في ظلّ الظّروف اللاإنسانية نتيجة التّطور التّكنولوجي الهائل، المفترس والكاسح الذي عرفه عصرنا الحالي.

وفي هذا المساق نجد أن مصطلح الاغتراب بغض النظر عن بداياته في الكتابات اللاهوتية. لم يعرف نضجه المعرفي والمنهجي إلا مع هيجل الذي يطلق عليه (أبو الاغتراب)، حيث يعرفه في كتاب (ظاهريات الروح 1807) بأنه " حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره"[3]، إذ أنه في غمرة هذا التّنافر مع الذّات يقع الانسان ضحيّة الاغتراب الذّاتي self_estrangement، وتطمس ماهيته الحقة وتتماهى إلى شخصية ثانوية مزيفة، وبعد هيجل توالت الجهود التي أكسبت المفهوم أبعادا نفسية واجتماعية واقتصادية، فهذا كارل ماركس يضفي على مصطلح "الاغتراب" بعدًا اقتصاديا ليظهر الاغتراب لديه بأنه حالة عامة تصيب المجتمعات الرأسمالية التي سيطرت على العامل وحولته إلى كائن عاجز وسلعة بفعل تسليمه سيطرته على إنتاجه إلى غيره[4]، ولئن قلنا أن فلسفة ماركس تشبه إلى حد ما فلسفة الوجودية في احتجاجها ضد نزع إنسانيّة الإنسان وتحوله إلى آلة (شيء)، ومن فلاسفة الوجوديّة مارتن هايدجرالذي يرى بأن الشخص يكون مغتربا عندما "يتخلى عن حق الاختيار، ويهرب عن ذاته والأزمات ويعيش حالة من الزّيف، ويغرق في الحاضر، وفي عالم الآخرين، فينفي وجوده الأصيل، ويصبح شخصا آخر لا نفسه بل غيره"[5].

أما عالم النّفس فرويدفيصف حالة المغترب ذاتيّا فيقول:" يصاب الانسان بالاغتراب عندما يفشل "الأنا " في إحلال التوازن والتوافق بين مطالب الهو و الأنا الأعلى"[6].

أما في علم الاجتماع فقد ركّز دوركايم في مفهومه للاغتراب على " فكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية والثّقافية، وفقدانها السّيطرة على السّلوك الإنساني وضبطه، وهذا ما أسماه بالأنومي Anomie أو بلا معايير"[7]، فعندما يتساوى كل شيء من حيث الجوهر والقيمة يفقد معناه، وكنتيجة حتمية لذلك تظهر مشاعر القلق واليأس والتشاؤم التي أصبحت من سمات الإنسان المعاصر بسبب طغيان النّزعة الفرديّة.

وهكذا يعد المفهوم الاصطلاحي من المنظور الغّربي كعقد به حلقات متراصة يصعب الفصّل بينها.

أما في المنظور العربي فقد حظي تعريف الاغتراب باهتمام العلماء والمفكرين العرب المسلمين خصوصا المتصوفة منهم، وعلى رأسهم أبو حيان التوحيدي الذي تحدث عن الغربة والغريب في كتابه"الإشارات الإلهية" فيقول: " أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه وأبعد البعداء من كان قريبا في محل قربه"[8]، فاغترابه هنا يعبر عن فقدان الإحساس بالانتماء والطمأنينة وسط أقرانه، وكذلك لم ينأ ابن عربي عن سابقيه في تحديده لهذا المصطلح وذلك بقوله: " أن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد

بربوبية الله علينا ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة" [9]، فالاغتراب هنا اغتراب روحي؛ أي ابتعاد الإنسان عن الله منذ حادثة الخطيئة.

هذه آراء العرب القدامى، ويستمر مصطلح الاغتراب حاضرا بقوة أكثر عند النقاد المحدثين فنجد نبيل راغب قد أورد مفهوما شاملا له بقوله، أنّه حالة نفسية تلازم الإنسان وتشعره بالألم والحزن سواء كان هذا الإنسان في وطنه وبين أهله، أم بعيدا عنه[10].

وصفوة القول: الاغتراب من المصطلحات الأكثر مرونة ورواجا في الكتابات التي تعالج مشاكل المجتمع الحديث، لذا فهو يعد مرض العصر بامتياز، وتظهر أعراضه في عجز الإنسان عن تحقيق التواصل مع ذاته والعالم الخارجي، خاصة عند الشباب والمراهقين والمثقفين.

2 ـ مفهوم الذّات le soi/ the self:

مصطلح الذّات من المصطلحات المهمة واللصيقة بالإنسان، هذا المخلوق العجيب الذي يصعب فهم ماهيته، في حين يعتبر الوحيد القادر على إدراك ذاته، لذا تشكل الذّات ركنا أساسيا وحجر الزّاوية في بناء شخصية الفرد، ولمّا كان هذا المصطلح بهذه القيمة، نجد أن الدراسات والبحوث تباينت في تحديد مفهومه وتمفصلاته كل حسب اختصاصه،الأمر الذي يقتضي منّا رصد بعض هذه التّعريفات اللغوية والاصطلاحية.

أ ـ لغة:

جاء في معجم علوم العربية: " ذَاتُ الشّيء: حقيقته وخاصته، وإذا قُلْتَ: " قَلّتْ ذاتُ يَدِه" فإنّ (ذات) هنا اسم لما ملكت يمينه.وهي مؤنث " ذوا" ومثناها " ذواتا" وجمعها " ذَوات"[11].

وبالعودة إلى المعجم الفلسفي نجد معنى الذّات بـ " النّفس والشّخص، يقال ذات الشّيء نفسه وعينه، والذّات أعم من الشّخص، لأنّ الذّاتيطلق على الجسم وغيره، والشّخص لا يطلق إلا على الجسم، وللذّات عدّة معان،الذّات ما يقوم بنفسه ويقابله العرض Accident بمعنى مالا يقوم بنفسه، والذّات يطلق على باطن الشيء وحقيقته، والذّات ثابتة والأعراض متبدلة "[12].

رغم تعدد السياقات اللغوية لمصطلح الذّات، ومع ذلك فالتقارب واضح وجلّي في الإجماع على أن المقصود بالذّات كنّه وجوهر الشّيء وحقيقته وخاصّته.

ب ـ اصطلاحا:

يعتبر مفهوم الذّات اصطلاحيا من المفاهيم المتعددة الأبعاد فذات الإنسان ماهي إلا انعكاس لما بداخله من أفكار ومشاعر ومهارات، لذا نلفي ماجد موريس إبراهيم يعرف الذّات على أنّها:" كينونة الفرد التي تحيا داخله وبه، إنهاهذا الكائن وهذا التّنظيم الحي الذي يؤدي كل الوظائف النّفسية والفيسيولوجية بما يمكنه من التّكيف مع البيئة، وتتجلى ذات الإنسان في حكمه على الأشياء والأشخاص والمواقف وكذلك في طبيعة علاقته بالواقع وكيفية إدراكه له"[13].

في حين نجد الدكتورة سعاد جبر سعيد تفصل أكثر في العناصر التي يقدمها الفرد حول نفسه وإدراكه لذاته فتقول: " إنّ الذّات تصورات الفرد تجاه أفكاره ومشاعره وسلوكه ومظهره الخارجي وطبيعته، ورؤية الآخرين له، وما يطمح أن يكونه في ضوء انطباعاته عن واقعه".[14]

ويرى عالم الاجتماع " كولي" Colley أنّ الذّات: " تنمو من المخالطة مع الآخرين، وأن الأصل الاجتماعي لحياة الانسان يأتي عن طريق أواصر الاختلاط أو المعاشرة مع الآخرين"[15]، فهذا الأخير يؤكد على أن تحقيق الذّات يكون بعملية التّواصل مع العالم المحيط بإنشاء علاقات إيجابية معه، والقيام بأنشطة تثبت وجوده في وسطه.

نستنتج مما سبق أن مفهوم الذّات مترامي الأطراف وذلك لبنائها المعقد والمركب من المادة والروح، واتصالها الوثيق بعالم الموجودات (المحيطة به) باعتباره جزء لا يتجزأ منه، لذا فتفسير هذه الذّات يتكون من جزأين، أحدهما يخص الفرد نفسه، في حين يتعلق الجزء الآخر بالمجتمع.

ثانيا ـ تمظهرت اغتراب الذّات في رواية ريح يوسف لعلاوة كوسة:

تعد ثيمة الاغتراب إحدى الثيمات التي اشتغل عليها الروائيون الجزائريون عامة، وجيل الشباب خاصة، فقد كان لها حضورا بارزا في أعمال علاوة كوسة الروائية، ولعلّ رواية ريح يوسف الصادرة عام 2017، من أحسن النّماذج التي عكست الهوية الاغترابية للمثقف المهمش في الجزائر، الذي تقلّب بتقلّب الظروف المسببة لها.

فماهي أبرز صور اغتراب الذّات الحاضرة بكثافة في هذا المنجز الروائي؟ وهل نجح كاتبه في إثبات تجلياتها؟

أنماط الاغتراب في الرّواية:

1.الاغتراب الميتافزيقي: الذّاتي / النّفسي

يسعى الإنسان دوما إلى إقامة علاقة ودّ وانسجام مع ذاته حتى يطيب عيشه ويهنأ باله، إلا أن الظّروف اللاإنسانية المناقضة لتطلعاته تحول دون تحقيق مبتغاه، فتضيق عليه الدنيا بما رحبت ويتخلخل بنيانه الداخلي، ليصبح هائما في دوامة الاغتراب الذّاتي على وجه الخصوص كمتاهة يشعر بين ثناياها بالانشطار بين الذّات الأصلية والمزيفة (الفعليةوالحقيقية).

ومنه فالاغتراب الذّاتي يعدمن أبرز ملامح الاستلاب؛لكونه نواة لجميع الاغترابات التي تضرب بالشخص المغترب فهو "يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أو جفاء في علاقته مع الآخرين"[16]، فهذا اللون الاغترابي يشير إلى إخفاق الإنسان في التّفاعل مع ذاته والنّسيج الاجتماعي القائم، و انزوائه في صومعته الخاصة غريبا قلقا ... ، وقد انقشع هذا الوجه من وجوه الاغتراب بشكل ساطع في المتن السردي "ريح يوسف"وفيه يستبطن علاوة كوسه صورة الأديب المغترب عن وطنه الذي عاش أحلامه فيه،والتي سرعان ما أصابها إعصار أود به إلى ماوراء البحر (باريس) طواعية لبناء مستقبله هناك، الذي أمدّه بالشهرة والتألق في سماء النّجومية الأدبية المرموقة، لكنه وفي المقابل لم يمنحه الأمن والاستقرار النّفسي بل سلب منه الأهل والخلان ، وألقى به في غياهب جبّ القلق والضياع،ونستشف بوادر ارتسام اغتراب واعتزال شخصية البطل يوسف من العنصر الأول والمعنون **بعتبةطارئة: أيتشابه في الخيبات..فهو مقصود**، ويظهر أيضا.

ومن خلال قول السّارد:" يضيق صدره بأسراره الموجعة الخرساء... يحدث نفسه، أمته، ذاكرته المتعبة يتحسس ضلع غربته الأعوج، فلا يشعر إلا بأنثى المواجع تسطع من عينه الخفاقتين وقلبه المدموع..."[17]، فهذا

المقطع يعكس الحالة النفسية المأزومة المضطربة التي يعشيها بطل الرواية في موطن غير موطنه وفي تصويره لمرارة الغربة، وما ينجم عنها من إحساس بالاختناق والضيق والخرس والوحدة ، فنجده يحاور ذاته المتمزقة التي صارت أنسه في وحشته، و كذا في سعيها الحثيث لإثبات هويتها، باعتبار أن هوية الفرد هي عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه، ولكن هيهات ليوسف أن يحقق هويته الذّاتية بين أناس يخالفونه فكريا وعقائديا،هذا المنطق الذيتولد عنه فقدان لوجوده، و باح به في معرض المونولوج الدّاخلي بقوله: " الغريب يبقى غريبا ولو في شهيقه وزفيره"[18]، فهذا الشاهد يظهر لنا قمةالحسّ الاغترابي في الانفصال والاختلاف عن الذّوات المحيطة به، والذي ولّد لديّه حدّالتشكيك في ائتلاف الوظيفة البيولوجية للرئتين، والتي لا شك في أنها متشابهة عند بني البشر، إذن فالحالة الفصامية التي أصابته لم تأت من فراغ، وإنما أفرزتها تراكمات نفسية ولدت معه على حد فهمنا ، أو ربما بدأت منذ لحظة الفراق لمحبوبته سمّية التي كان متيّما بها، فهذه الحالة أمالت جفنيه وأنزلت رموش عينيه لوقوعه في المرأة الخطأ، مخلفة هذه الصّدمة آثار على نفسية البطل المهزومة والمكلومة الحانقة على العالم، والمحاصرة داخل أسوار الذّات والأسيرة في متاهات الماضي، و التي لا ريب في أنها كانت السبب الرئيس في اتخاذه قرار الهجرة من مسقط رأسه وأهله وعشيرته، مسببة تلك الواقعة جرحا يتعسر تضميده فيقول:" كان غيابا قاتلا كرهت، بعدك العالم.. والبحر، وباريس وكل شيء... كنت مصدوما جدا... كان حديث أمّك على لسانك في آخر لقاء يقسم ظهري..."[19]، فهذا الحاجز المنيع بينه وبين آماله وطموحاته صعب عليه تجاوز محنته، مما جعله يهرب إلى عالمه الخاص مطلقا العنان لوحدته التي قدمت ذاته قربانا لمذبح التشاؤم والصمت مع الآخر، وبات كل شيء حوله عديم القيمة والجدوى، لأنه فقد طعم الحياة الحقيقي، وصار محطّم الكيان، ويتجسد ذلك في قول الراوي:" كان الرّعب يملأ روحه القلقة"[20].

وبما أن شخصية البطل يوسف من الشخصيات المثقفة التي عانت الأمرين من الواقع في الرواية، لأنّه وببساطة الكاتب والمثقف يقطن في كنف هذا الواقع الموبوء ويتأثر لمجرياته، ويحمل نفسه مسؤولية تغييره، لامتلاكه مشاعر مرهفة ورقيقة ونظرة نقدية خاصة، تكشف المستور وتقرب الصّورة للمتلقي بغية تعريفه بحقيقة واقعه المرير، وهذا ما يؤكد لنا فكرة فلاديمير ماكسمينكو عن المثقف إذ يعتبره " الشّاهد الوحيد عن المجتمعات الممزقة"[21]، لذا نلقى الاستلاب قد بلغ ذروته عند يوسف فنراه يحبذ الكتابة ومكتبه وحاسوبه والعالم الافتراضي عن العالم الحقيقي لعلّه ينسى أو يتناسى العواقب الوخيمة من جرّاء الغربة، ويتبدى ذلك في المقطع الموالي:" المطر.. المدينة الغربة... الذاكرة والجرح... وقطع الظلام تلاحق بعضها لتحط على كتفي، فأعود إلى غرفتي... مكتبي، حاسوبي الأمين مأمن كتاباتي ومكمن علاقاتي الافتراضية القليلة جدا..."[22].

وفي هذا الإطار نقول إنّاغتراب المثقف أشدّ وقعا على النّفس، فكثيرا ما نراه يلجأ إلى الكتابة وإقامة علاقات افتراضية عبر صفحات الفايسبوك لتنفيس عن لواعجه، والتخفيف من وطأة المعاناة، وتعويض لما ينتاب الذّات من حرقة وحنين وشوق للأهل والأحباب وهذا ديدن البشر، فالفرار من عالم الواقع إلى عالم الكتابة والافتراض، الذي بينهما برزخ شعوري رهيب لأجل إفراغ الشحنات العاطفية باد في هذه الرواية.

وفضلا عن ذلك يستطرد الكاتب في تصوير أزمة البحث عن الذّات الهاربة إلى عالم الطفولة البريء من كل مكر وخداع بغية فكّ حصار الاغتراب عنها،في استحضاره من طرف الأستاذة الجامعية أمينة في قولها:" تجتاحك الذكرى فتصور الطفولة فيك جنونا بريئا وعفوية مقصودة، وتاريخا قادما، وأحلاما ورؤى تغفو في

مدارج روحك الصّافية؟؟"[23]، فبعد وعي أمينة بزيف حاضرها الذي يكبّل حرياتها ويخنق أنفاسها، نراها تسترجع ذكريات الماضي التي يعجز الزمان عن محوها، وأي ذكرى أحلى من ذكرى أيام الطفولة البهيجة التي تشفي العليل وتزيح الهموم.

وعلاوة على ذلك تعد أمينة الرّابط الرّوحي بين البطل الإشكالي وأصدقائه، ومأمن أسراره وأسرارهم، فهي لا تنفك عن جَلْدِ ذات يوسف وتأنيبها في تواريه وراء اسم مستعار "عرّاف الحي"، الذي لم يكن اختياره اعتباطا، وإنما قصد إليه قصدا ليتفقد أحوال البلاد والأحباب، وفي المقابل تبين أمينة له أن هناك رفاق يحترقون لاختفائه بدون سابق إنذار، فهذا جزء من رسالتها له عبر صفحة التواصل الاجتماعي الفيس:

من أمينة إلى عراف الحي...

...هم يحترقون لأجلك يا يوسف،إلام هذا التّنكر خلف أسماء مستعارة وإلام الغياب...[24].

ولا يفوتنا أن ننوّه إلى أنّ الاغتراب الذّاتي في "ريح يوسف" يعكس صورة صادقة عن محنة فرد متصدع وجدانيا، ومتمزق وجوديا في بلاد المنفى والوطن، والذي أدخل ذاته الحالمة في سجال مع ذوات أخرى سببه البحث عن الهوية الضائعة في هذا الكون، ليتحول بديهيا إلى اغتراب اجتماعي ومكاني وحتى لغوي باعتباره نواة لبقية الأنواع الاغترابية.

2 ـ الاغتراب الاجتماعي (السوسيولوجي):

خلق الإنسان في هذا الأفق الدنيوي ليزهو بالعمل والأمل والتفاعل مع الآخر عبر جسور التواصل، لكن هذا لا يعزو إلى أن دروب الحياة مفروش بالورد لسالكها، فلابد أن يعترض سبيله الشّوك والحجر، فمن اقتلعه فازو انتصر، وهانت عليه نوائب الدهر، وأما من سقط في وحلها غزاه العجز واليأس في مجابهة الظروف المريبة وسلطة المجتمع، ليصبح الاستلاب من محيطه رفيقه الدائم الذي لا يبرحه، وفي هذا السياق نجد "فروم" يطرح سببا مفعلا للاغتراب عن الجمهور، والمتمثل في " فقدان الحرية... والقهر الناجم عن خضوع شخص ما لشخص آخر، يمارس قواه وسلطته عليه"[25].

إذن فالاغتراب الاجتماعي ينشأ من انشقاق الفرد عن المجتمع، ونبذ نواميسه السائدة، وقد لا يتوقف عند هذا الحدّ بل يسعى في أحيان كثيرة " إلى محاولة إسقاطها ويخضع ذلك لرؤيتين: إحداهما سلبية والأخرى إيجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي "[26]، بغية تحقيق ذاته على جميع الأصعدة.

وقد صورت لنا رواية (ريح يوسف) هذا النّمط من الاغتراب كنتيجة لعوامل اجتماعية عديدة فرضت نفسها على الإنسان في عقر دارهوفي ديار الغربة، لذا ارتأينا أن نصنف هذا النّوع إلى صنفين:

2 .1.الاغتراب الاجتماعي داخل الوطن:

وتجسد لنا في مشاهد سردية كثيرة من الرواية نورد بعض منها على سبيل المثال، ولعل أول ما شدّ انتباهنا اغتراب "عمّي الشّريف" المجاهد الذي ضحّى بالنّفس والنّفيس من أجل أن ينعم أبناؤه ووطنه بالحرية والعيش الهنيء، فها هو يختار العزلة والصمت على الاحتكاك المزيف مع أناس يبجلون أشباه الثوار، ويهمشون الأبطال الحقيقين والمجاهدين الذين صبروا على البأساء والضراء وحين البأس، لتحرير وطنهم الجزائر في قول السّارد:" ما زال صامتا منذ استقلال الوطن لا يكلم الناس إلا من وراء وجه مشرق عبوس، لا يحدث أحدا عن الماضي وكأنه لا يريد أن يفتح نوافذ حزنه لجيل تمنى له أن يعيش حرا فرحا"[27]، فهذه الشخصية لا تريد فتح

سجل الماضي الحزين والمشرّف في آن واحد، لجيل يشتهي له رغد الحياة، فنجده في معظم الأحيان يفتقد رفقاء السلاح ويودّ أنه بينهم في عليين، فهو شديد التعلق بالذكريات ويتوق لتلك الأيام، لشعوره بالهامشية والانفصال عن هذا المجتمع الجزائري؛ أي جيل ما بعد الاستقلال، الذي لم يقدر تضحياته، فأمست الحياة الكريمة عنده حلما، وسط انتشار الطبقية والبيروقراطية والرشوة التي سببت الاغتراب الوظيفي، حتى لأبناء المناضلين الشهداء الأبرار، فها هي شخصية البطل الملقب . أيضا . بصالح، يتجرّع من كؤوس الارتهان رغم كدّه ومثابرته واعتلائه سلّم الدّراسات العليا، ينكسر ويرتد على عقبه عند رفض ملفه للتّوظيف في الجامعة، وخطيئته أنه ابن مجاهد فقير بسيط شريف، تماشيا مع ما تم ذكره على لسان الرّاوي: " لم يكن في قائمة الناجحين..

نجحت فلانة وفلانة وابن فلان العظيم.. وأنت يا صالح... بسيط... فقير... خرجت مؤخرا من صدمة قاسية... وابن فلان المجاهد الذي لم يكن له من جهاده إلا الاسم والشرف حرم أبوك حقه، لأنه لم يدفع الثلاث آلاف دينار حينها للمشرفين على ضبط الملفات من سادة المصير الثوري ...أبوك رفض الرشوة... وما نال درهما واحدا لكنه عاش كريما شريفا...."[28]،فبعد هذا الموقف المقرّف الذي ينبي عن تدني المبادئ والقيم الأخلاقية، شعر صالح بأن الدنيا قد أدبرت عنه، وألقت عليه أثقالها، ورغم ذلك نلفيه يكابد ويكافح أمام جور الزّمن، وما اقترفه أمثال البشر، الأمر الذي دفعه إلى الرحيل عن البلد لتحقيق الأمل والمستقبل المنتظر، والذي ولّد غربة أخف مما عرف، وذلك ما سنتطرق إليه لاحقا.

وبما أن الإنسان كائن اجتماعي سياسي بطبعه كما قال "أرسطو"، فقد كان لأحداث العشرية السّوداء بالغ الأثر على نفسية ذاك الجيل في حقبة التسعينات، لاهتزاز كيان الأمن والأمان، الذي يتضح في حوار يوسف مع صديقه اليامين في قوله:" كم كانت العشرية السّوداء قاسية على جيلنا يا صديقي... فلا نحن عشنا شبابنا ولا نحن كنّا ننعم بالحب والأمان... فكنت غريبا يا صديقي بوطنك... وها أنا مواطن في غربتي"[29].

يكشف هذا السّياق السّردي عن الجروح البليغة التي خلفتها تلك الفترة، والتي أتت على الأخضر واليابس،وكانت الباعث على شعور الشباب خاصة بالضياع، وإجبارهم الابتعاد عن أهاليهم وذويهم، ومن هنا يجرنا الحديث إلى التطرق للون آخر لا مناص منه لهذا الشكل وهو:

2.2. الاغتراب الاجتماعي خارج الوطن:

وفي هذا النّمط الاغترابي يركّز الأديب على تصوير معاناة المهاجر يوسف، الذي حطّ رحاله في باريس قاصدا إياها للعلم والعمل، فهي التي قربته من الأضواء والشهرة، ومنحته ظلمة الفراق والبون والشوق والحنين، استنادا إلى ما أدرجه من مقتطفات حكائية غير مرة منها: تعقيب يوسف على كلام رفيقه اليامين الذي ذكّره بأن الوطن يشتاق إليه، حتى وإن لم يكن يشتاق هو إليه في قوله بـ" العكس أنا من يحن إلى تراب بلاده، إلى أصدقائي وأهلي وقريتي وكل شبر في ذلك الوطن الغالي..."[30]، مبرهنا له عن إحساسه العميق بالغربة في هذا الموطن، وأنّه أشدّ حرّا من الجمر في الحنوّ لمرتع صباه، مبيّنا في مواضع أخرى بعض الأسباب التي أوصلته إلى محنة البعاد بقوله: " كان سؤالك قاسيا جدا يا أمّي.. الآن في غربتي أستذكر دائما نبوءة أبي وسؤالك.. هما اللذان أوصلاني إلى باريس. هما حفزاني على مواصلة دراساتي العليا"[31].فهذه الغربة بنت في داخله ذات مرتعشة تقطن داخل وطن لا أنصار ولا أهل له به، تحترق لتعيش فقط، كالشمعة المشتعلة التي تضيء درب الآخرين، تاركةغربته خواء عاطفيا مترهلا يمكن لنسمة خريف أن تقطعه، مصطنعا يوسف الاستئناس للجمادات الفاقدة للرّوح كفقده

لجوهره الطبيعي فيقول:" في مكان ما من هذا الكون المشظّى بين واقعية وافتراضية كان أحدهم يعجب لهذا العصر الذي صارت فيه التكنولوجيا تقاسمنا عواطفنا.. رؤانا.. تراها تأنسنت الأشياء أم ذلك المخلوق الآدمي تشيأ.. تناهى في الفقد.. والاغتراب حتى صار يلوذ بجمادات تؤويه لتسكنه؟!!"[32]، وينطوي عن هذا القول طغيان فكرة التشيؤ التي عرفت عند فلاسفة الغرب، خاصة في البلدان المتحضرة التي طغت عليها المادة، وأصبحت تنظر للإنسان كشيء له دور معين فقط، وله . مدة صلاحية-بعيدا عن لبّ البشر، معمقة الإحساس لديه بالاستلاب والعزلة الاجتماعية، جاعلة إياه لقمة سائغة في فوهة الاغتراب. لرفضه لبني جنسه، ولتفضيله العالم الافتراضي، الذي غدت علاقته معه في صراع وتعارض لعدم الانسجام والتّأقلم معه، كما نلمس اغترابا آخر انطلاقا من قول التّوأم الروحي ليوسف"قيس" بـ:

" تنهد قيس كعادة ذكراه وأسود وجهه من الشوق وقال:

لا أدري إن كان انقطع عن الكتابة أم عن الحياة...

إنه غادر الوطن إلى وجهة مجهولة!!"[33]

فهذا الصّديق الوفي يحسّ باغتراب يوسف الذي سافر إلى وجهة غير معلومة لأصدقائه، مخلفا جرحا لن يندمل وأسئلة حارقة أربكت قناعاتهم في مفارقته للكتابة أم للحياة.

وتأسيسا على ما تم طرحه نقول أنّ الاغتراب الاجتماعي بنوعية الدّاخلي والخارجي كان حاضرا وبقوة في روايتنا المختارة.

3. الاغتراب المكاني:

يرتبط الإنسان بالرّقعة الجغرافية المحدودة المعالم ارتباطا وثيقا،لأنها عبارة عن همزة وصل بين ذاته والعالم بأسره، ومكمن هويته ووجوده، لذا يعتبر المكان أحد العناصر الحكائية الهامة في الخطاب الروائي، التي يمّمت أقلام الباحثين في السّرد للاهتمام بها، وقد تأججت الدراسات والبحوث المكانية على يد غاستون باشلار ضمن مؤلفه المشهور "جماليات المكان"، الذي سما بهذا الإطار الهندسي إلى القاع للغوص في ما مدى تعالقه بمواقف الشّخصية النّفسية أو الاجتماعية وإلا السياسية، فالمكان هو الوحيد الذي يزرع الأنس أو الوحشة، ويأتي النّأي عن الوطن ومن فيه سواء كان ذلك طوعا أم كرها، أولى المحطات التي تؤسس للغربة المكانية التي ينجم عنها تجرع علقم الفراق والحنين إلى منابتها.

مثلما حدث مع البطل يوسف خلال مغادرته مسقط رأسه "الجزائر" إلى "باريس" فكان وصف الفضاءات ببعديها العجائبي والواقعي (المفتوح والمغلق) ما هو إلا انعكاس لأحوال الذّات وتقلباتها، ويتجسد المكان العجائبي في قول السارد: "الغابة موحشة والظلام يلفها، الريح تزلزل أركانها تتسارع خطاه إلى أمام مجهول ... تطارده أشباح بكل ألوان الخوف يتملكه الرعب، تنتصب الأشجار في كل درب يلوذ به تغدو أصناما تخذ أشكالها المرعبة هي الأخرى ... يجري ... يجري ... يجري ..." [34]، فالكاتب هنا ألصق صفات غرائبية بالمكان في حدّ ذاته كالأشباح، الأصنام...، وتظهر العجائبية .أيضا .في وصف السارد لغرفة البطل بالفندق : " بين مكتب يتوسد بوحه، وغرفة تسكنه بكل فضاءات المريكة الحبلى، كان يقيم لجرحه عالما"[35]، فالغرفة هنا تجاوزت دلالتها المعهودة في أنها حيز يبعث على الرّاحة والسّكينة إلى فضاء يشعر فيه بالضّيق والارتباك والكآبة والعزلة، كما لا يخف علينا أنها أضحت الملاذ الوحيد له لحفظ أسراره وأوجاعه وذكرياته الحزينة التي تراوده من حين لآخر.

إن مشاعر الحيرة لا تفتأ أن تفارق يوسف حتى وهو يجوب مدينة "سان دوني" الحضارية مكان إقامته في قوله:" أذكر أنه شتان بين ساندوني وقريتي ولكن... أبكي الآن في غربتي بباريس، وأنا أعيش أحلامي المتحققة من دونك... ومن دون سخريتك منها..."[36]، فهذه المدينة منحته الشهرة في أن يصير كاتبا عالميا مرموقا، لكن لم تمنحه الألفة والاستقرار والانتماء ، لأنها فرنسية وستبقى كذلك مدينة تفوح بدماء أبناء جلدته ، فيوسف نموذجا للشاب الجزائري المغترب، الذي لن ينس أن هذا البلد الماتع هو من اغتصب حريته قرابة قرن ونصف من الزمن، فها هو الراوي يذكر يوسف ويصرح بالقول المأثور عن المجاهدين والشهداء ، رغم التبعية للآخر فيقول:" أنت وحيد هذا المساء.. الليل يا يوسف، ومدينة "سان دوني" فرنسية وستبقى إلا الأبد كذلك.. أنت تذكر قول أجدادك يوما إن الجزائر جزائرية ولا يمكن أن تكون فرنسية ولن تكون كذلك إلى الأبد"[37]،فالموقف بيّن من هذه المدينة، ومرافقها العامة وشوارعها التي يشعر فيها يوسف بالتّيه وبصراع داخلي يبدّد ذاته الحائرة ، مصداقا لقول السّارد :" في شارع طويل بمدينة قطعة من غربة، وسفر وهروب، لجوء عاطفي كان يوسف سائرا تحت عزف هستيري لأوتار مطر ذابلة بين سماء وأرض"[38] ، فهذا الوصف اللامتناهي للشارع ما هو إلا رمزلحالة النّفور والهروب التي تعيشها الشّخصية المحطمة نفسيا في هذا المكان المعادي، متجاوزة بذلك الوصف الطّبوغرافي الدقيق له، فرغم السّعادة التي حققها - يوسف- وهو نازح عن وطنه، إلا أنها تبقى ظاهرية ومزيفة ومموهة داخل تركيبة نفسية تعاني التّمزق الذّاتي.

ولا ينحصر الاغتراب المكاني خارج ربوع الوطن فحسب، فقد يغترب الفرد وهو في منشئه الأصلي لما يلاقيه من خيبات وصدامات وظلم، كالذي شهده يوسف عند ما زُج به إلى السجن بهتانا وافتراء،وهو ما جاء في معرض حديثه:" الزنزانة 62 ستحفظ آثار صدمتي .. وتسكب في ذاكرة قسنطينة كل دموعي الغزار التي ذرفتها عيناي هناك..."[39]، فهذه الزنزانة ستبقى شاهدة على أحزانه ودموعه الغزيرة التي ذرفها، وحافزا لذكرياته بهذه المدينة الأسطورية مسقط رأسه الإبداعي وملتقى الأحبة، فقسنطينة تختزل تاريخ اغترابه الجسدي والعاطفي،فبعد أن حضنته مارست عليه لعبة الإغواء،ورمت به إلى غياهب الحيرة والموت البطيء وجحيم المنفى فيصفها بقوله:" وهذه قسنطينة التي أسرتني حبيبا.. ومذنبا لأعوام عجاف من عمري... ولعام الحزن... آلمني... حطمني ...أماتني ...ثمأحياني ... وهذه قسنطينة التي منحتني جرحا خالدا فكتبت... وانكتبت وأبدعت في رسم انكساري فكرمت بها اليوم كرمت بك قسنطينة أخيرا... وكنت أويتني حين خانتني الملائكة وزغرد الشياطين ..."[40].

وبصرف النظر عن جمال وبهاء مبانيها وجسورها المعلقة تظل هذه المدينة التي شهدت الأحداث جزء من كيان الشخصيات الروائية وموطن أتراحها وأفراحها.

وعليه إن تجلّيات الاغتراب المكاني في هذا المتن السّردي تحيلنا إلى القول بأن الروائي أبدع في ربط هذا الحيز الجامد بالمكامن الشعورية للشخصية الرئيسية والثانوية، ولما تعانيه من صراع وردود فعل داخلها، قد ينتهي بها المطاف إلى أي مظهر من مظاهر اغتراب الذات.

4. الاغتراب اللغوي:

مما لاشك فيه أن اللغة ذاكرة الأمة وثقافتها، ومقوّم هوية، و وسيلتها الفذّة والأكثر نجاعة في التّعبير عما يختلج النّفوس من مشاعر وأحاسيس وأفكار وتخيلات، لترجمة الواقع الإنساني بكل تعقيداته، لذا تعد أول ما يستقطب القارئ لأي عمل سردي على حساب الآخر ، ولأننا أمام رواية تعاني مشكلة الوجود، فيمكننا التأسيس

للاغتراب اللغوي من خلال توصيف هايدجر للغة:" فهي الوجود إذ لا وجود خارجها أو بدونها فهي الحقيقة الإنسانية القابلة للإدراك"[41]، إذن فاللغة هي مفتاح الولوج للعالم الإبداعي الخفي بكل مكوناته وخاصة الشخصيات، وفي هذا الصّدد كانت لغة شخصيات علاوة كوسة في " ريح يوسف" الرواية النفسية والتجريبية، مشبعة بمعاني الاغتراب في مستواها السّطحي والعميق، بحيث لا يكاد يخلو جزء من أجزاءها أو بالأحرى كوكب من كواكبها الإحدى عشر كما صنفنها صاحبها من الألفاظ والعبارات الدالة على الغربة ومشتقاتها، كالصمت، والحزن، والوحشة، والمجهول، والسجن، والرعب والكهف والظلام... بوصفها مفردات اغترابية مصرح بها لفظا، وإلا مُلَمَّح بها عن طريق الترادف أو الرّمز أوالسّخرية، وينبلج فيما يلي:" يحس أن روحه قد بلغت التراقي، يصيح، يستنجد.. يصرخ، يبكي تتعالى الأصوات الغريبة من كل الجهات"[42]، " وفي قوله أيضا " لكنه اكتفى بالدموع لغة ،الدموع لغة من لا لغة له..."[43] ، بالإضافة إلى هذا المعجم اللغوي الذي يعبر عن الحالة النفسية للمغترب الجزائري "يوسف "محور الأحداث، نجد أن الكاتب وظف لغة انزياحية استعارية ذات تكثيف عال يصل إلى حدّ الشّاعرية، بل إلى الحضور القوي لهذه اللغة ذات الملامح الفنية السّاحرة الموحية على اغتراب اللغة- السردية- عن نفسها، فالروائي يعرض رؤيته الناقدة والرّافضة للواقع وفق خطاب شعري من إبداعه تارة أو من مقتبسات الشعراء تارة أخرى ، ومن أشعاره التي ذكرها في روايته قصيدة بعنوان " تهمة المتنبي"بلغ عدد صفحاتها 14 صفحة من الشّعر الحر، مأخوذة من ديوانه "مارس الحزين " الذي جاء على لسان "عرّاف الحي "نورد بعضها:

وشبابي المفجوع يا ولدي

عصرته في صباك!!!

ولدي تكلم: قل لهم...

ولدي تكلم: قل لهم...[44]

فهذه المفردات والمعاني تجسد التوتر والتّصدع الذّاتي الذي يكابده البطل الإشكالي أو الروائي نفسه إن صحّ القول، والتي انبرت في لغته الحزينة التائهة لتيهان فكره الذي لوثته لعبة الحياة الخائنة، فنجده يتفنن في شعره لدرجة أن كل من حوله في الطبيعة يتعذب لعذاباته بقوله:" فتنام على خيبة فيحتلك قمر شاحب وشمس مرتعشة تستنجد ببحر غاضب وحدك وهم جميعا.. وتسكنك ذكرى غائبة لن تعود[45]"، فضلا عن أن هناك نصوص كثيرة أخرى لا يسع المجال لذكرها، تثبت توظيف الكاتب للغة الشعرية الرّاقية والحبلى بمعاني الاغتراب بكل تفاصيله.

وحري بنا . أيضا. أن نشير إلى ما لفت انتباهنا من التّوظيف المكثف لعلامات الوقف خاصة الاستفهام والتعجب والنقاط المتتالية، التيتدل على حالة الارتباك والشّك والدّهشة والعجز عن قراءة أبجديّة الواقع والتّأقلم معه، ويتجسد في قوله:" من أية طينة أنت يا شقيق المواجع... يا صفصافة في موسم إعصار!!؟"[46]

إن هذا السؤال وغيره يبرز القلق الدائم من الماضي، والحاضر المؤلم والخوف من المستقبل المجهول،لذات مشتتة داخليا، وما طرح الأسئلة دون تقديم أجوبة والنقاط المتتالية والمساحات الهائلة من البياض قبل كل كوكب أو جزء وبعده في عمل الروائي، إلا ويحيلنا إلى أن هناك أشياء محذوفة ومسكوت عنها،وإلى اللامعيارية واللامعنى اللذان يعدّان من أبعاد ومظاهر الاغتراب النفسي، التي تقضّ مضجع الإنسان المعاصر، إضافة إلى أن الروائي يريد إدخال القارئ في متاهات الفراغ، ومن ثمةاستدراجه للتفاعل مع النص

بفعل القراءة، الذي يكون بتوظيفه لخلفياته الثقافية بغية فكّ شفرات النّص المطمورة، أو دعوته للمشاركة في إنتاج النص من ناحية أخرى، وتدريجيا يجد القارئ نفسه قد وقع في براثن الاغتراب وانتقلت العدوى إليه دون أن يشعر ذلك أن " النص وجود عائم؛ فمبدعه يطلقه في فضاء اللغة سابحا فيها إلى أن يتناوله القارئ، ويأخذ في تقرير حقيقته[47].

وبفعل تماهي الذات مع الآخر نلحظ تشتتا لغويا واغترابا ثقافيا يومئ إلى الانسلاخ عن لغة المنشأ والأصل في استخدام اللغة المعربة عن الانجليزية مثل: كافتيريا، فايسبوك، البروفايل، الميكرفون،سيمفونية[48].

وعلاوة على ذلك نجد أن لغة الاغتراب مصبوغة باللهجة العامية والتي نراها الأكثر وصفا لهذه الحالة الاغترابية في حواره:

توحشتك ياميمة... لفراق هد صبري [49]

.....

بحرقة فرحة: ام م م م .. من أين أبدأ؟[50]

وهذه الأخيرة تدل على الأسلوب الهزلي،الذي نرجعه لخفة روح صديقهم رشدي، كما نلمح تقطيع الكلمة إلى مقاطع صوتية، مثل تجزأت عبارة "سكت الكلام"، إلى أحرف مستقلة بسطر وبعده نقاط، اي ...ه، وتكرار للحروف "كصدآآآآآن".

وبناء على ما تقدم نقول إن اللغة أضحت الوعاء الحامل لانكسارات ومعاناة الشّخصية الروائية المتمردة والرافضة للواقع المأزوم،الذي وصل إلى حد رفض القوالب اللغوية الجاهزة عن طريق خوض غمار التّجريب،بتحرّير اللغة من النّمطية إلى توظيف لغة شعرية رامزة تخفي بين دفتيها الحالة الشعورية للروائي وشخصياته.

الخاتمة:

نرصد في ختام ورقتنا البحثية مجموعة من النتائج أبرزها:

1-عالج الأديب "علاوة كوسة" قضيّة الاغتراب في متخيله السّردي – السير الذّاتي-الموسومب "ريح يوسف" بلغة شعرية مكثفة محورها الإنسان في محنته الارتهانية بهذا الفضاء الوجودي، من خلال مقاطع ومشاهد سردية، يتخللها أسئلة محيرة عن الهوية والذّات المفقودة.

2-أماطت المساءلة اللّثام عن أهم ملامح الشخصية المغتربة والمثقفة – يوسف-التي آلمتها رياح التّغيير، لأنها اقتلعت أحلامها وأذاقتها جلّ أصناف الاغتراب: المكاني، والنفسي، والاجتماعي، والوجودي... ولكن تباينت درجاته بتباين الظّروف النّابعة من وقع الأزمات وإرهاصات الرّاهن، التي لحقت بهذه الشخصية جرّاء الانتقال أو الانفصال عن الأرض والوطن، ولما لا ربما هذه التّجليات الاغترابية تعكس ما لحق بشخصية المؤلف نفسه.

3-استطاع الروائي تثوير دواخل النفس الإنسانية بتفريغ مكبوتاتها، ثم توجيه الحسّ الاغترابي لديها إلى الاتجاه الإيجابي، وهذا ما يلمسه القارئ في سلوك البطل الإشكالي عند تحديد مصيره وسعيه إلى التغيير والخروج من واقعه المستلب لحريته؛ أي تجاوز حالته الاغترابية بالسفر إلى فرنسا لمواصلة دراساته العليا وبناء مستقبله، فكان حقا مثالا للعمل والتّحدي والمثابرة من أجل إعلاء شأنه واسترجاع الثقة في قدراته الذاتية، وعدم الخنوع لمتقلبات الحياة البائسة.

4-كان للمفهوم الغربة-المكاني-سطوته على مستوى المتن الحكائي المختار، فقد تحول المكان فيه من موصوف مادي ملموس إلى واصف لأحوال الشخصية النفسية الغرائبية منها والعجائبية.

5-تمكن الكاتب من تقديم موضوع روايته في شكل لوحة فنيّة جماليّة تمتزج ألوانها التقنية – طرائق السرد-بشبكة الأبعاد النفسية وبالسمات الاغترابيّة، التي تبدّت من ردود أفعال الشخصيات، بتوظيفها ألفاظ مفعمة بمعاني الاغتراب، ولجوئها إلى ما يعرف بالتّداعي والمونولوج الداخلي لاكتشاف الصّورة الكامنة عن صراع الذّات مع نفسها من ناحية، وعجزها عن قراءة أبجدية الواقع من الجهة المقابلة.

6 -لتسدل الرواية السّتار عن الاسم المستعار، باسترجاع الذّات لهويتها وفاء للأهل والخلان والوطن، وتسطير صفحة جديدة لحياتها ولو ظاهريا.

قائمة المصادروالمراجع:

المصادرالعربية:

1. ابن منظور، لسان العرب. تح، عبد الله علي الكبير وأخرون، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1981.

2أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1982.

3.جميل صليب، المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، (د ط)، ج1، بيروت، لبنان، 1982.

4.علاوة كوسه، ريح يوسف (رواية)، منشورات فاصلة، عين اسمارة، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2015.

5.محمد ألونجي، معجم علوم عربية، دار الجيل، بيروت، ط1، 2003.

المراجع العربية:

1. حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، دط،2005.
2. حكيم أومقران، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية (الطاهر وطار)، نموذجا، مقاربة سيوسيو ثقافية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2012 .
3. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
4. سعاد جبر سعيد، علم النفس المقارن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط2، 2008.
5. السيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 1984.
6. عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتّكفير: من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
7. ماجد موريس إبراهيم، سيكولوجية القهر والإبداع، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
8. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية في سيما نطيق السرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
9. محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988.
10. نصر حامد أبو زيد، اشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، المغرب، لندن، د، ط،2005.
11. يحي العبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، دار المشرق، عمان، الأردن، ط1، 2005.

الكتب المترجمة:

1. سيغموند فرويد، قلق الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1979.
2-فلاديمير ماكسمينكو، الأنتلجانسيا المغاربية، المثقفون أفكار ونزاعات، تر، عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1984.

المجلات:

1. نبيل راغب، مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، ع 96، 1985.

الكتب الأجنبية:

1. Schachtr/ Alienation/ georgeAlle et unuinltd, london, 1972.

هوامش وإحالات المقال

[1]. ابن منظور، لسان العرب. تح، عبد الله علي الكبير وأخرون، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1981، ص 3225، 3226. مادة(غ ر ب)

[2]Schachtr ;Alienation , georgeaiie and unuin ltd, london, 1972,p:1.

[3]. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص، 37.

[4]. ينظر، المرجع نفسه، ص 39.

[5]. حسن حماد، الانسان المغترب عند اريل فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، د، ط، 2005، ص 99، 100.

[6]. سيغموند فرويد، قلق الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص8.

[7]. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص43.

[8]. أبو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1982، ص 83.

[9]. محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988، ص 40.

[10] ينظر، نبيل راغب، مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، ع 96، 1985، ص 47.

[11]محمد ألونجي، معجم علوم العربية، دار الجيل، بيروت، ط1، 2003، ص222.

[12]جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ، لبنان ج ،1(د ط)، 1982، ص 579.

[13]ماجد موريس إبراهيم، سيكولوجية القهر والابداع، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص25، 26.

[14]سعاد جبر سعيد، علم النفس المقارن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط2، 2008، ص 99.

[15]حكيم أومقران، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية الطاهر وطار نموذجا، مقاربة سيوسيو ثقافية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2012 ص 19.

[16]. محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، ص 35.

[17]. علاوة كوسه، ريح يوسف (رواية) ، منشورات فاصلة ، عين اسمارة ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 2015، ص 11 .

[18]. المصدر نفسه، ص 13.

[19]. المصدر نفسه، ص 126.

[20]. المصدر نفسه، ص 15.

[21]فلاديمير ماكسمينكو، الأنتلجانسيا المغاربية، المثقفون أفكار ونزاعات، تر، عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1984، ص 8.

[22]. علاوة كوسة، ريح يوسف، ص 14.

[23]. المصدر نفسه، ص 40.

[24]. المصدر نفسه، 150.

[25]السيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1984، ص 44.

[26]يحي العبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، دار المشرق، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 80.

[27]. علاوة كوسه، ريح يوسف، ص 84.

[28]. المصدر نفسه، ص 138، 139.

[29]. المصدر نفسه، ص 160.

[30]. المصدر نفسه، ص 164.

[31]. المصدر نفسه، ص 123.

[32]. المصدر نفسه، ص 45.

[33]. المصدر نفسه، ص 68.

[34]. المصدر نفسه، ص 15.

[35] . المصدر نفسه، ص 11.

[36].المصدر نفسه، ص 131.

[37].المصدر نفسه، ص12.

[38].المصدر نفسه، ص 11.

[39].المصدر نفسه، ص 127.

[40].المصدر نفسه، ص 205.

[41]محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص، 16.

[42] علاوة كوسه، ريح يوسف (رواية)، ص15.

[43] .المصدر نفسه، ص 34.

[44] المصدر نفسه، ص 55.

[45] .المصدر نفسه، ص 60.

[46] .المصدر نفسه، ص 19.

[47]عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط4، 1998، ص 28.

[48] .علاوة كوسة، ريح يوسف، ص 104، 165، 176، 197، 199.

[49] .المصدر نفسه، ص 23.